موطي ليرنر*

الثقافة، الصراع، والتئام الجروح

الكلمات الثلاث: «ثقافة، صراع، والتئام جروح» التي تظهر كعنوان لهذا النقاش، يمكن لها أن توضع معاً بطرق مختلفة. ساستخدم هذه الكلمات لطرح السؤال التالي: كيف يسهم الكاتب في عملية التئام الجروح في ثقافة منخرطة في صراع؟ أقدّم هنا مجموعة من الملاحظات تتعلق بالسؤال.

١ – ماذا تعني كلمة «التئام الجروح» في سياق ثقافة في صراع؟ أظن أنها وببساطة تعني حل الصراع ومداواة الجروح التي سببها. ومن خلال فهمي ككاتب مسرحي، فإن عملية التئام الجروح هذه يمكن البدء بها عن طريق خلق رغبة في التطهير لدى أكبر مجموعة ممكنة من النظّارة. رغبة في التطهير تكون قادرة على تغيير وعيهم وتعمل على إعدادهم من أجل حل الصراع. كيف يمكن للكاتب المسرحي أن يخلق مثل هذه الرغبة في التطهير داخل المشاهد؟ من خلال ايجاد شخصية تمرّ عبر رغبة التطهير ذاتها على المسرح. من خلال التداخل العاطفي مع الشخصية سيمر المشاهد في التجربة، وهكذا نعمل على ادخاله إلى مرحلة التئام الجروح.

٢ – كيف يمكن أن تكون عملية التطهير الحقيقية لشخصية كهذه؟ دون أن أحدّد الاحتمالات التي سيفكر بها الكتّاب، اعتقد أن بإمكان الشخصية، او ربما على الشخصية، أن تمرّ بعملية صراع لمداواة جروح ثقافته من المرض الذي يُلوّثها. على الشخصية أن تتعرف على هذا المرض، وعليها أن تضع مسألة العلاج على قائمة الأولويات، يجب ان يكون ذلك أكثر أهمية من حياته. وكملاحظة أود أن أقول ان الشيء نفسه ينطبق تماماً على الكاتب. لا أظن أن بامكانه الكتابة ما لم يمر هو نفسه بعملية التطهير.

٣ – لو تأملنا بناء مأساة كلاسيكية، سنجد أن الشخصية المحورية تقع في هوّة عميقة مع نهاية مرحلة التطهير. إنها – أي: الشخصية

* كاتب مسرحي إسرائيلي، هذه الشهادة ألقيت في ندوة بـ«مركز الدراسات العربية» في جامعة جورج تاون في واشنطن في نيسان الماضي.

من أجل معالجة هذا المرض على الاسرائيليين أن يمروا بمرحلة الاعتراف بالمأساة الفلسطينية التي بدأت العام ١٩٤٨، أو حتى قبل ذلك. عليهم أن يكونوا قادرين على تقمص الاحساس بالخسارة واليأس، وأن يتحملوا مسؤولية فردية وجمعية عن هذا المأساة. على الاسرائيليين أن يتعاملوا مع الظُلم الذي أوقعوه بالفلسطينيين، وبما سببه ذلك الظلم للاسرائيليين أنفسهم. إن المسرح هو المكان الذي يحصل فيه التقمص. ولو كان المسرح الاسرائيلي قادراً على خلق تقمص عاطفي مع الفلسطينيين، فإنه سيلعب دوره في عملية التئام الجروح.

– لا تنجح أبداً في عملية علاج الجروح. إنها تدفع عادة ثمن فشلها في الحياة. إن هذا ما قد يحدث أيضاً لشخصيتنا المحورية التي تحاول علاج المجتمع. هل يعني ذلك أنه ما من أمل؟ على العكس تماماً. إن فشل الشخصية «أداة بنّاءة لاعطاء قوة للمشاهد، تماماً كما أن كوابيسنا أدوات بناءة للتعبير عن المخاوف، وإمدادنا بالقوة في حياتنا الحقيقية».

٤ – أرغب ان أكون تحديداً فيما يتعلق بالصراع الاسرائيلي – الفلسطيني. وبما أن معظم المشاهدين لأعمالي هم من الاسرائيليين، عليّ أن أكتشف المرض الذي يعانون منه. إن المرض هو لسوء الحظ، ان معظم الاسرائيليين لا يعترفون بحقيقة بسيطة وواضحة، هي أن الفلسطينيين شعب له أن يعيش حياته بحقوق سياسية ومدنية وثقافية كاملة. إن المرض هو عدم قدرة معظم الاسرائيليين على تقمص حالة الفلسطينيين: عدم القدرة على الاحساس بما يحسون به، وفهم ما يفكرون به، وتقبل مشروعية رغباتهم وأحلامهم. حتى اتفاقية اوسلو التي كانت اختراقاً مهماً، لم تتضمن اعترافاً كاملاً بالفلسطينيين كشعب ينتمي إلى باقي الأمم، له حقوق مساوية، تماماً كالاسرائيليين. إن هذا المرض لا يختلف كثيراً عن العنصرية. الاحتلال الاسرائيلي للأراضي الفلسطينية يُخفي افتراضاً مفاده أن الفلسطينيين سيقبلون الاحتلال. وبكلمات أخرى، انهم لا يستحقون الاستقلال، ولذلك فإنهم لن يقاتلوا من أجله. لو أن اسرائيل تشفي نفسها من المرض وتتعامل مع الفلسطينيين كشركاء متساوين، فإن حل الصراع سيكون أكثر سهولة.

٥ – من أجل معالجة هذا المرض على الاسرائيليين أن يمروا بمرحلة الاعتراف بالمأساة الفلسطينية التي بدأت العام ١٩٤٨، أو حتى قبل ذلك. عليهم أن يكونوا قادرين على تقمص الاحساس بالخسارة واليأس، وأن يتحملوا مسؤولية فردية وجمعية عن هذا المأساة. على الاسرائيليين أن يتعاملوا مع الظُلم الذي أوقعوه بالفلسطينيين، وبما سببه ذلك الظلم للاسرائيليين أنفسهم. إن المسرح هو المكان الذي يحصل فيه التقمص. ولو كان المسرح الاسرائيلي قادراً على خلق تقمص عاطفي مع الفلسطينيين، فإنه سيلعب دوره في عملية التئام الجروح.

٦ – إن مرض الاسرائيليين مرتبط بمشكلة أخلاقية. أعتقد أن دوري والتزامي ككاتب هو التعامل مع هذه المشكلة الأخلاقية. إن الرغبة في التصرف الأخلاقي الانساني يجب أن تكون رغبة طبيعية، لا يحق مساءلتها كما لا يحق تبريرها. رغم ذلك، عليّ أن أقول انني أعتقد بأمانة أن تصرفنا الأخلاقي هو شرط بقائنا. إننا لن نبقى إلا إذا كنا على قدر عالٍ من الأخلاقية، وإلاّ إذا نفّذنا العدالة.

٧ – كما ترون، أعتقد أن دور الكاتب هو أن يصالح ثقافته. انني لا أكتب للفلسطينيين. أكتب للاسرائيليين لأنهم جمهوري. إن التزامي هو أن أعالجهم واعمل على تغييرهم. إن هذا يفسر انني لم أخلق شخصية فلسطينية واحدة في مسرحي وأفلامي، رغم مرور قرابة عشرين عاماً من الكتابة. انني بالتأكيد أعي ذلك. إن جزءاً من ذلك قد يعود إلى عدم مقدرتي الخاصة على تقمص شخصية فلسطينية، لكنها بالتأكيد نتيجة لفهمي أن دوري هو علاج الاسرائيليين من مرضهم، تماماً كما أن دور الكتّاب الفلسطينيين هو معالجة الفلسطينيين من مرضهم.

٨ – لاستراتيجية الكتابة التي ناقشتها سابقاً عنصر مهم آخر. انني أتجنب الكتابة عن معاناة الاسرائيليين التي سببها الفلسطينيون لأن ذلك يغذي الكراهية. كذلك أتجنب الكتابة عن معاناة الفلسطينيين التي سببها الاسرائيليون، لأن معظم الاسرائيليين – الذين هم جمهوري – سوف يستجيبون من خلال مقارنة معاناتهم همُ بسبب الفلسطينيين. لذلك أفضل الكتابة عن معاناة الاسرائيليين التي يسببونها لأنفسهم نتيجة للظلم الذي يوقعونه بالفلسطينيين. إن ذلك قد يبدو متناقضاً، لذلك سأعيد بطريقة أخرى. أختار أن أكتب عن معاناة الاسرائيليين، تلك المعاناة التي يسببونها لأنفسهم نتيجة للظلم الذي يوقعونه بالفلسطينيين. أعني بذلك أن تغيير الاسرائيليين سيكون

«اغتيال اسحاق». وهي مسرحية تدور حول جريمة قتل اسحاق رابين، رئيس وزراء اسرائيل الأسبق، والذي اغتيل بعد توقيعه اتفاقية اوسلو مع الفلسطينيين. المسرحية تستكشف البُنى التحتية للمجتمع الاسرائيلي في محاولة لعرض الصراعات الداخلية التي قادت إلى هذا الاغتيال المأساوي الذي غيّر مجرى السلام، وقادنا إلى ما نحن عليه اليوم.

أكثر فاعلية إذا أريناهم أي نوع من الهاوية يلقون بأنفسهم إليها، وأية كارثة يجلبونها على أنفسهم بسبب ظلمهم للفلسطينيين.

٩ – إنني على يقين أن بعضكم يتأمل افتراضي الأساسي حول أي دور للكاتب نحو قضايا مجتمعه. كما تعلمون، فإن الكثير من الكتّاب سيقولون ان التزامهم الوحيد هو نحو أنفسهم ونحو عالمهم الداخلي كمصدر للكتابة. لا أنكر ذلك، لكن بإمكان الكاتب أن يكون له اختيار آخر. بامكانه أن يختار المسؤولية نحو مجتمعه. بامكانه أن يختار مسؤولية علاج مجتمعه وتغييره نحو الأفضل، بامكانه أن يرى أن مهارته هبة أعطيت له من أجل هذا الهدف. وككاتب سياسي، أعتقد أن هناك تحالفاً بين الكاتب وجمهوره. إن الناس يقرأون الكتب ويشاهدون المسرحيات والأفلام ليس من أجل المتعة والتسلية فقط، بل لأنهم يبحثون عن تفسير كي ينضجوا، ليعالجوا أنفسهم، ليفهموا أنفسهم ومجتمعهم. على الكاتب أن يُنجز هذا الدور من خلال تحالفه. على الكاتب أن يعيش وَهْم قدرته على انقاذ مجتمعه من خلال الكتابة. نعم، إن ذلك يعتبر وهماً، ولكن بدونه، لا يتغير شيء، ولا يمكن معالجة أي شيء.

١٠ – عند هذه المرحلة أرغب في وصف مسرحيتين وفيلم تعكس جميعها الالتزام الذي أحس به نحو جمهوري، المسرحيتان متوفرتان بالإنكليزية، أما الفيلم فإنه لسوء الحظ غير مترجم إلى الإنكليزية.

أ. «وخزات المخلّص المنتظر». المسرحية كتبت العام ١٩٨٦ وتم اخراجها على مسرح الكاميري في تل أبيب. تجري الأحداث أثناء المرحلة الأولى لمفاوضات السلام الخيالية بين اسرائيل والأردن. تركز المسرحية على مجموعة من المستوطنين الذين يخربون اتفاقية السلام من خلال تدمير المساجد المقامة على جبل الهيكل (المسجد الأقصى). استكشفت المسرحية أيديولوجيا المستوطنين وعرضت المأساة التي أوجدوها. إنها تعالج واحداً من أهم وجوه المرض الاسرائيلي .. الغيبية الدينية المتطرفة.

ب. «باص ٣٠٠»: وهي دراما تلفزيونية من خمسة مشاهد تدور حول فضيحة صادقة حدثت العام ١٩٨٤ في اسرائيل. وقعت الحادثة حين اختطف اربعة فلسطينيين حافلة (في باص رقم ٣٠٠) أثناء رحلتها من تل أبيب إلى عسقلان. استوقفتهم قوات الأمن قرب الحدود المصرية. قتل اثنان من الخاطفين حين اقتحم الجنود الحافلة، والقي القبض على الآخرين أحياء. لقد تم التحقيق معهما من قبل المخابرات (الشاباك) ثم قتلا بعد ذلك على الفور. في اليوم التالي أصدرت الحكومة بيانا قالت فيه إن الأربعة قد قتلوا أثناء الهجوم، لكن مصورين صحافيين كانوا متواجدين أثناء الهجوم التقطوا صوراً للاثنين الذين أخذا أحياءً من الحافلة. أمر المدعي العام بالتحقيق من خلال عدة لجان، لكن الحقيقة لم تكشف. وحين أمر (المدعي العام) بالتحقيق في القضية، فصل من عمله وعين مدير عام مكانه. لكن المدعي الجديد لم يستطع ايقاف التحقيق. أما الحكومة التي أرادت دائما الدفاع عن المخابرات فقد طلبت من الرئيس اطلاق سراح العملاء السريين قبل المحاكمة. إن الفيلم يستكشف ظاهرة أفراد المخابرات الذين يتصرفون وكأنهم فوق القانون بإذن من الحكومة. وتم اخراج الفيلم في التلفزيون الحكومي، وعرض سنة ١٩٩٧.

ج – «اغتيال اسحاق». وهي مسرحية تدور حول جريمة قتل اسحاق رابين، رئيس وزراء اسرائيل الأسبق، والذي اغتيل بعد توقيعه اتفاقية اوسلو مع الفلسطينيين. المسرحية تستكشف البُنى التحتية للمجتمع الاسرائيلي في محاولة لعرض الصراعات الداخلية التي قادت إلى هذا الاغتيال المأساوي الذي غيّر مجرى السلام، وقادنا إلى ما نحن عليه اليوم. المسرحية تعرضُ ما أومن به اليوم بشكل أكثر قوة: إن اغتيال اسحاق رابين كان أكثر من نتيجة لرؤية رجل مجنون. لقد حدث الاغتيال للتعبير عن عدم قدرة أجزاء كبيرة في المجتمع الاسرائيلي على قبول اتفاقيات اوسلو. هذه المسرحية لم يتم اخراجها في اسرائيل حتى الآن. لقد أخرجت في المانيا العام ١٩٩٩، ونظمت حولها ورشة عمل هنا في واشنطن قبل ستة أشهر.

١١ – رغم التطور المريع الذي حصل على مسيرة السلام بين اسرائيل والفلسطينيين، فإنني أودّ الاشارة إلى حقيقة أن المسرح والأدب الاسرائيليين قد ساهما كثيراً باتجاه التغير في الرأي العام الاسرائيلي منذ بداية الثمانينيات. لقد استطاع كتّاب من أمثال ليفين وسويول وعوز وغروسمان وأنا أن يوجدوا انفتاحاً أكثر نحو الاعتراف بالدولة الفلسطينية وحقوق شعبها، وهي فكرة كانت مرفوضة تماماً من قبل معظم الاسرائيليين في السبعينيات، لكنها تجد الآن دعماً من السكان.

١٢ – آمل أن أرى المزيد من المسرحيات السياسية والأفلام على المسرح وشاشة السينما. آمل أن تخلق هذه المسرحيات والأفلام تغييراً، وأن تبدأ عملية علاج تجعل المجتمع الاسرائيلي مستعداً لصنع السلام. آمل أن يحدث ذلك أيضاً، في المجتمع الفسطيني. إن الشرق الأوسط يمر بصراع مؤلم هذه الأيام، والمآسي التي ترونها في التلفزة ليست سوى جزء من الصورة. إن الناس في كلا الجانبين يموتون دون مقابل. إن الحل الوحيد معروف تماماً، وموت الكثيرين لن يغير شيئاً. في النهاية سنتوصل إلى الحل الوحيد الممكن، إنه حل مؤسس على الاعتراف المتبادل والحقوق المتساوية.

١٣ – أود أن اختتم هذه المقدمة باقتباس سطر من بيركي أقوت ... «مقولة الآباء – التي لفت انتباهي لها البروفيسور بنسكي»، «إن الحرب تأتي إلى العالم بسبب تأخر القول، وبسبب منع تنفيذ العدل». وبكلمات أخرى، كانت الحرب على الدوام عقوبة الظلم. آمل أن تتوقف هذه الحرب، عندما يتحقق العدل.

صدر عن «مدار» في «سلسلة أوراق إسرائيلية»

نيسان ٢٠٠١

أيار ٢٠٠١